البرامج التعليمية الاستعمارية الفرنسية ودورها في سلب هوية الطفل الجزائري

إعداد
أ/ فريدة بشيش/سعيدي
أستاذة محاضرة ـ جامعة باجي مختار ـ عنابة ـ الجزائر ـ
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم الاجتماع

البرامج التعليمية الاستعمارية الفرنسية ودورها في سلب هوية الطفل الجزائري

ملخص:

نحاول في هذا المقال أن نتعرض إلى إشكالية سوسيو. تاريخية تتعلق بوضع الطفل الجزائري إبان الحقبة الاستعمارية. وترتكز المقاربة في هذا السياق على تشخيص ظاهرة الاستلاب الثقافي التي مورست بطريقة ممنهجة على الطفل، بالنظر إلى ما يخطط للمجتمع الجزائري مستقبلا من تهديم للهوية الثقافية والوطنية.

وسيتم تناول هذه الإشكالية في ضوء تفصيل العناصر التالية:

- **هوية المجتمع الجزائري: مميزاتها ودورها في الحفاظ على تماسك المجتمع.**
- **الاستعمار وأساليبه في القضاء على الهوية الثقافية والوطنية.**
- **موقع الطفل الجزائري من إستراتيجية الاستلاب الثقافي التي اعتمدت من قبل الاستعمار الفرنسي في المجتمع الجزائري مع الإشارة إلى بعض البرامج التعليمية المنتهجة آنذاك.**

الكلمات المفتاحية: الهوية، الاستلاب الثقافي، التعليم الحر، الاستعمار.

Résumé:

Cette contribution tente de cerner une problématique socio-historique relative à la condition de l'enfant algérien dans le contexte de la colonisation de l'Algérie.

Cette approche porte essentiellement sur la rationalisation du phénomène de déculturation pratiqué systématiquement sur l'enfant algérien qui est pris pour cible dans la stratégie de la France coloniale de déconstruction de l'identité nationale et culturelle du peuple algérien.

Nous allons aborder cette problématique en référence aux éléments suivants :

- **Identité de la société : ses caractéristiques et son rôle dans la sauvegarde de la cohésion sociale.**
- **La colonisation et ses méthodes de destruction de l'identité culturelle et nationale.**
- **Place de l'enfant algérien dans la stratégie de déculturation pratiquée par la colonisation française à l'encontre de la société algérienne à travers les programmes scolaires adoptés dans cette période.**

Mots clés : identité, aliénation culturelle, enseignement libre, colonisation.

Abstract :

This paper attempts to identify a socio-historical issues concerning the status of the Algerian children in the context of the struggle for independence.

This approach focuses on streamlining the phenomenon of acculturation systematically practiced against the Algerian child who is being targeted in the strategy of colonial France to absorb the national and cultural identity of the Algerian people.

We will address this issue by reference to the following elements:

- **Corporate Identity: its characteristics and role in safeguarding social cohesion.**
- **The colonization and methods of destruction of cultural and national identity.**
- **role of the Algerian child in the strategy of deculturation practiced by French colonization against the Algerian society through the school curricula adopted in this period.**

Keywords: identity, cultural alienation, free teaching, colonization.

تمهيد:

تكشف لنا الأحداث التاريخية أن الاحتلال الفرنسي للجزائر لا يعني احتلال الأرض والاستيلاء على البلاد فحسب، بل كان يبحث عن السبل والطرق التي تسهل له المهمة في بسط هيمنته التامة على المجتمع بكامل عناصره ومؤسساته، بما في ذلك الأسرة والمدرسة ومؤسسات العبادة، وعناصر الثقافة من دين ولغة وعادات وتقاليد....وأن تجعل فرنسا من الشعب الجزائري شعبا منسلخا عن هويته، راضيا بالتبعية لغيره وقابلا للإدماج في النظام الفرنسي. غير أنها وجدت أن هذا الشعب يتميز بعدد من الصفات والمميزات والسمات التي لا يمكن تجاهلها، ومنها على الخصوص تمسكه بدينه واعتزازه بلغته العربية، وحبه لوطنه وأرضه وغيرته على عرضه وشرفه. من هنا، بدأ الاستعمار الفرنسي في التخطيط لسياسة استعمارية تدميرية لمقومات الهوية، ومن بينها اللغة العربية والدين الإسلامي. وتمثل ذلك في تنظيم تعليم خاص بالجزائريين لتكوين أفراد موالين لها، حيث انتهجت الحكومة الفرنسية سياسة الفرنسة أسلوبا والإدماج غاية لتحقيق أهدافها الاستعمارية. وشكلت المدرسة والتعليم عامة، أنجع وسيلة لتحقيق

سياستها بدعوى إزالة الأمية والجهل المتفشيين بين الجزائريين لتمدينهم. غير أن الشعب الجزائري أدرك أن المدرسة الفرنسية تأسست ليس لتحريره بل لتجهيله واستبعاده....

أولا. هوية المجتمع الجزائري:

تختلف الشعوب في مقوماتها ومميزاتها كما يختلف الأفراد أيضا. وتتمثل مقومات كل شعب في اللغة التي يعبر بها ويتأدب بآدابها ويتواصل بها، والعقيدة التي يبني حياته على أساسها والذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها.

ويمكن إبراز أهم مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية في العناصر التالية: الدين واللغة العربية والوطن والتاريخ والمصير المشترك.

أ. الوحدة الدينية الإسلامية:

يمثل الإسلام المقوم الأول للشخصية الوطنية الجزائرية. وكان دائما خلال هذا المسار التاريخي، مظهر هذه الأمة ولباسها وهويتها التي تتمظهر بها بين الأمم. كما يعتبر الرصيد الأعظم، حيث تدور تعاليمه كلها حول التعاون والتآزر والأخوة المتبادلة بين أفراد المجتمع. ومن أجل الحفاظ على هذه الهوية ظل المجتمع الجزائري يقاوم الاستعمار الفرنسي المرير، خلال هذا المسار الطويل.ومثل الإسلام القيم التي زادت ودعمت من صمود الشعب الجزائري وارتباط أفراده بعضهم ببعض وتعاونهم وتماسكهم من أجل الحفاظ على وطنهم وحماية مقومات شخصيتهم.

ب . الوحدة اللغوية:

وكما يمثل الإسلام عاملا من عوامل الوحدة الوطنية ومقوماتها، فإن اللغة العربية لا تقل أهمية في هذا الإطار، إذ تضيف إليه عاملا آخر، يزيد من قيمته وقوته فالإسلام نفسه، لا يمكن فهم نصوصه إلا بتعلم هذه اللغة وإتقان فهمها والتحدث بها. إن اللغة العربية هي العامل الجامع بين الجزائريين على اختلاف أعراقهم وتنوع لهجاتهم. واللغة، إلى جانب الدين الإسلامي، هي العامل الذي يجمع ماضي الجزائر وحاضرها ومستقبلها.

ج . التاريخ المشترك:

هناك أحداث تاريخية مشتركة تجمع بين الجزائريين، تعود إلى مئات السنين، عايشوها معا في السراء والضراء، متآزرين ومتعاونين..... وأعظم هذه الأحداث التي جمعتهم هي الدفاع عن بلادهم ووطنهم ومقومات شخصيتهم، في وجه الحملات العدائية التي ظلت تشن على الجزائر عبر التاريخ، مستهدفة تحطيم كيانها والاستيلاء على خيراتها وإنهاء وجودها التاريخي والحضاري.

وعليه، فإن المقومات الوطنية السالفة الذكر قد حاول الاستعمار الفرنسي تدميرها والقضاء عليها من خلال:

. محاربة اللغة والثقافة العربية محاربة عنيفة.

. اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية، يمنع تدريسها في معاهد التعليم إلا بترخيص من الإدارة الفرنسية.

. فرنسة التعليم في جميع مراحله.

. تشويه تاريخ الجزائر والتشكيك في انتمائه العربي الإسلامي، بل حتى في وجوده،

. إهمال جغرافية الجزائر، وحيث يتم التركيز على جغرافية فرنسا، مع إبراز عظمتها وقوتها (1).

ثانيا . ممارسات وأساليب الاستعمار في القضاء على الهوية الثقافية والوطنية:

لا شك أن الحرب الاستعمارية التي شنتها فرنسا على الجزائر قد تركت آثارا خطيرة ونتائج سلبية في الميدانين الثقافي والتعليمي وتمثل ذلك، في تدمير المؤسسات الثقافية وتشريد المدرسين وتشتيت التلاميذ وتوقيف نشاط الزوايا والمساجد والمدارس. فقد قامت السلطات الفرنسية بإجراءات عديدة لضمان نجاح مدرستها في الجزائر، وتمثلت هذه الإجراءات أساسا في القضاء على التعليم العربي الإسلامي وإغلاق مدارسه لإجبار النشء على الالتحاق بالمدارس الفرنسية أو التظاهر على الأقل أمام الجزائريين، بأنها تخدم الثقافة العربية الإسلامية بتعيينها لمدرسين جزائريين في المدارس الفرنسية يشرفون على إعطاء الدروس الدينية واللغة العربية (الدارجة عامة).

كما قام الفرنسيون فور دخولهم الجزائر، باحتلال المساجد ومصادرتها والتدخل في تعيين رجال الدين من الأئمة والمفاتي لمصلحتهم أو على الأقل لتجنب عدائهم. وظل الطابع الديني للتعليم الجزائري العدو الأكبر الذي عملت الإدارة الفرنسية على القضاء عليه. وكانت تنوي من وراء هذه السياسة تجاه المدارس الإسلامية جعلها تحت رقابتها وإبعاد السكان الجزائريين عن تأثيرات رجال الدين الجزائريين في الزوايا والمساجد والمدارس الحرة (٢).

كما حاولت الإدارة الفرنسية مؤسسة هذا التعليم الإسلامي، لتنافس به نشاطات الزوايا الموجودة في البلاد المجاورة كالمغرب و تونس، حتى تنقص من قيمتها ووزنها العلمي، بتخفيض عدد طلابها من الجزائريين وإبقائهم في الجزائر لمتابعة الدراسة العالية في المدارس الإسلامية العمومية.

وكانت الأعمال الفرنسية إزاء الدين الإسلامي والشعور العقائدي للجزائريين عملية استفزازية، فأهانت السلطات الفرنسية والمعمرون بيوت الله وحولتها إلى كنائس ومستشفيات وملاجئ. كما تم إلحاق شؤون الأوقاف بالإدارة الفرنسية (أملاك الدولة) لضرب التعليم العربي الإسلامي في الصميم، وجعل مقابر المسلمين طرقات عمومية و إرسال رفات الأموات إلى مرسيليا لصنع فحم العظام (٣).

كما طبقت سياسة الإدماج التي هدفت إلى جعل الجزائريين يقبلون بالحضارة الأوربية، في وقت قريب أو بعيد، أي تحويلهم إلى مواطنين، بل رعايا يعرفون اللغة الفرنسية و لهم عادات الفرنسيين نفسها وحب الوطن الفرنسي. لكن الهدف الأساسي من عملية الإدماج هو: "ضرب الوطنية المحلية و الدينية للجزائريين والقضاء على كل عامل يساهم في إبراز الوطنية الجزائرية" (٤).

فقد ركز المبشرون نشاطهم التبشيري والتنصيري على منطقة القبائل لاعتبارات وتفسيرات تبناها الأوروبيون، منها أن المنطقة وسكانها أكثر قابلية للاندماج لأن إسلامهم سطحي وهم أعداء فطريون للعرب (٥). وللإشارة فقد كان عدد مدارس الآباء البيض في سنة ١٩٠١ بمنطقة القبائل ٢١ مدرسة، تضم ١٠٣٩ تلميذا، وفي سنة ١٩١٤ وصل عدد المبشرين في إحدى القرى إلى ستة آباء وثماني أخوات بيض (٦).

كان رجال الدين المسيحيين حريصين على فتح المدارس للأطفال والملاجئ لليتامى لنشر تعاليم الإنجيل بينهم وتهيئتهم لتقبل واستيعاب الحضارة المسيحية الأوروبية، حيث اتبعوا سياسة التظاهر بالرأفة والشفقة والإحسان واستعمالهم أسلوب التغلغل الاستعماري وهدم التشريع الإسلامي. هذه الأعمال كلها، كانت تمهد لتنصير المسلمين وتهيئة ظروف اعتناقهم الديانة المسيحية.

فقد كانت توجد في الجزائر العاصمة، حتى سنة ١٨٤٠ (كان عدد سكانها آنذاك ١٢٠٠٠ نسمة) ٢٤ مدرسة قرآنية تستقبل أكثر من ٦٠٠ تلميذ، وفي سنة ١٨٤٦ انخفض عدد هذه المدارس إلى ١٤ مدرسة، تشتمل على ٤٠٠ تلميذ (٧). ففي مدينة عنابة مثلا، أغلقت ٢٢ مدرسة ولم يبق منها إلا ثلاث مدارس من مجموع ٣٩ مدرسة كانت موجودة قبل الاستقلال. وفي سنة ١٨٤٩، وصلت وضعية التعليم في الجزائر إلى أسوء حالة بحيث أتلفت جميع المصادر بجميع مستوياتها في كل التراب الجزائري. هذا ما دفع ببعض الجزائريين، الذين كانوا يرغبون في التعلم إلى الهجرة، خارج الجزائر (8).

أما في سنة ١٨٦٤، فأصبح عدد المدارس الخاصة بالذكور، حوالي ١٨ مدرسة بها ٦٤٦ تلميذا (٣٥٣ في ولاية الجزائر و٢٩٣ في ولاية قسنطينة). وبين سنة ١٨٦٥ .١٨٦٦، فتحت مدارس أخرى في ولاية وهران، أين وصل عدد المدارس العربية . الفرنسية في ١٨٧٠ إلى ٣٦ مدرسة بالجزائر كلها (٣١ مدرسة في المنطقة المدنية و٠٥

مدارس في المنطقة العسكرية مع ١٣٠٠٠ تلميذ، منهم ٥٠ إناثا (٩). وكان نصيب تعليم البنات الجزائريات من كل المراسيم التي أصدرها المستعمر شبه منعدم، حيث ترجع البادرة الأولى لتعليمهن إلى مرسوم ١٨٥٠ الذي نص على تأسيس أربع مدارس خاصة بالبنات في كل من الجزائر العاصمة ووهران وقسنطينة وعنابة. لكن لم يتأسس منهم إلا مدرستان أثناني، واحدة بالجزائر والأخرى بقسنطينة، ثم حولت مدرسة الجزائر العاصمة إلى معمل عام ١٨٦١. وتقوم هذه المدارس بتعليم اللغة العربية والفرنسية وأعمال الحياكة والنسيج والخياطة (١٠). وكانت طالبات المدارس من الفقيرات اللواتي كن يردن الاستفادة من المكافآت وبعض المساعدات التي تقدم لهن يوميا مثل الملابس والإعانات المادية. لكن بالرغم من ذلك، ظلت نسبتهن جد قليلة. فحتى سنة ١٨٨٠، كان عددهن يتراوح ما بين ٣٥ و٤٠ تلميذة (١١).

لقد تمثلت محاربة الاحتلال الفرنسي للغة العربية فيما يلي:

. فرنسة التعليم في المرحلة الابتدائية، وجعل اللغة العربية لغة أجنبية واختيارية، في بقية المراحل الأخرى. غير أن اللغة الفرنسية التي أراد الفرنسيون نشرها هي لغة الشارع، أي اللغة الدارجة والأكثر استعمالا و شيوعا و ليست اللغة الفرنسية العلمية. لأن تعليم قواعدها و قوانينها، كالكتابة هو حسب وجهة منظري المدرسة الفرنسية، عظيم وكمالي (un luxe) في حد ذاته.

. فرنسة الإدارة ووسائل الإعلام والثقافة، بغرض محو كل الآثار الدالة على الهوية الوطنية. كما أدت سياسة الفرنسة إلى تغيير وجه الجزائر العربي، من خلال تغييرها لأسماء المدن والقرى والأحياء والشوارع والساحات العربية بأسماء فرنسية.

. محاربة معاهد التعليم العربي"الحر" التي تقوم بنشر اللغة العربية وحاولت تصفيتها.

. اضطهاد المعلمين الأحرار في سلك التعليم العربي وسجنهم وتغريمهم بقصد صرفهم عن العمل في نشر التعليم العربي بين الجزائريين.

ثالثا: موقع الطفل من إستراتيجية الاستلاب الثقافي في البرامج التعليمية الكولونيالية:

كانت البرامج التعليمية الخاصة بالجزائريين والتابعة للنظام التربوي الفرنسي (شكلا ومضمونا) تهدف أساسا إلى غرس الحضارة الغربية بكل أبعادها لدى الجزائريين وذلك بإعطائهم دروسا عن قوة فرنسا وعظمتها لتخويفهم أو ترهيبهم. كانت هذه البرامج تعتمد أساسا على المبادئ الأولية للغة الفرنسية وعلى الجانب التطبيقي و الحرفي والفلاحي في موادها. لقد استخدم التعليم في الجزائر كأداة سياسية لخدمة الاستعمار وتثبيت ركائزه. فالمدارس الفرنسية لم تؤسس في المناطق التي يكثر فيها العنصر الوطني، بل كانت تقام في المناطق والمراكز التي يقطنها أبناء الأوروبيين.

وكان يقصد من تعليم الجزائريين تحقيق أمرين اثنين:

أ . أن يكون تطبيقيا، حتى يعمل على تكوين يد عاملة يستفيد منها الاستعمار. حيث انعقد سنة ١٩٠٨ مؤتمر عام للمعمرين في الجزائر بالعاصمة، وصادق على القرار التالي:

١. إلغاء تعليم الجزائريين.

٢. أن تحول القروض المخصصة للتعليم الجزائري إلى تطوير التعليم الفلاحي والتطبيقي الخاضع لمدرسين فرنسيين(١٢)، تحت حجة: أن الجزائري يرفض التقدم وهو غير قابل للتعلم (inéducable).

ب . أن يكون فعال وسياسيا، أي قادرا على غرس فكرة الخوف من فرنسا في أذهان الجزائريين بإعطائه صورة عن عظمتها وقوتها العسكرية.

ومنذ سنة ١٨٩٠ تقرر تبسيط التعليم و إقامة برامج للمدرسة الفرنسية بالجزائر تختلف عن برامج المدارس التي يتعلم فيها الأوربيون، تمثلت هذه البرامج الخاصة بالجزائريين في ثلاثة مستويات:

١. المستوى التحضيري.

٢. المستوى الابتدائي.

٣. المستوى المتوسط.

فالطفل الجزائري يتردد على الدراسة ما بين ٦ إلى ١٣ سنة ليصل عموما إلى نهاية القسم المتوسط، و يتقدم لشهادة الدراسة الابتدائية الخاصة بالجزائريين (١٣). غير أن المشرعين لهذه البرامج كانوا غير عادلين في توزيعهم لساعات المواد، فبعض المواد التي تخدم الاستعمار كانت تدرس في جميع المستويات، واحتلت اللغة الفرنسية المرتبة الأولى، في حين ظلت اللغة العربية (لغة الجزائريين) تحتل المرتبة الأخيرة في جميع المستويات وتدرس من طرف معلم فرنسي.

ويبين الجدول التالي توزيع عدد الساعات والدروس في كل مادة على حده من مواد برامج ١٨٩٨(١٤).

المواد	الصف التحضيري		الصف الابتدائي		الصف المتوسط	
	الساعات	الدروس	الساعات	الدروس	الساعات	الدروس
التربية الأخلاقية	؟	؟	١	٢	١	٢
اللغة الفرنسية	١٥	٣٠	١١ ونصف	٢٣	٥ ونصف	١١
الحساب والنظام المتري	٥	١٠	٥	١٠	٥	١٠
الرسم	٢ ونصف	٥	٢ ونصف	٥	١ ونصف	٣
الفلاحة والعمل اليدوي	؟	؟	٢ ونصف	٥	٣	٦
اللغة العربية	٢ ونصف	٥	٢ ونصف	٥	٢ ونصف	٥
ثقافة عامة	؟	؟	؟	؟	٥	١٠
مبادئ حول فرنسا والجزائر	؟	؟	؟	؟	١ ونصف	٣
استراحات	٥	١٠	٥	١٠	٥	١٠
المجموع	٣٠	٦٠	٣٠	٦٠	٣٠	٦٠

واعتمدت البرامج الجديدة التمارين الشفوية دون الكتابية. وكان التعليم شبه شفوي بأكمله وفقا لما تقتضيه المصلحة الأوروبية لجعله يلعب دور الوسيط بين المجتمعين المختلفين حضاريا ولغويا، لأن الاتجاه المراد منه هو اتجاه مهني تطبيقي. إلا أن عدة بلديات رفضت وبشدة تنظيم هذا النوع من التعليم لأنه يخلق حسب اعتقادها وتفسيرها منافسين للعمال الفرنسيين لأن هذه الفئة الجديدة التي سوف تتكون من

الحرفيين والعمال ستطالب في المستقبل بنفس الحقوق والواجبات الموجودة عند العمال الأوروبيين بالجزائر(١٥).

. أغلقت الكتاتيب القرآنية وحولت الزوايا إلى مسار آخر، وخضعت المدارس الإصلاحية للمراقبة للحد من نشاطها للأعمال الخيرية والخدمات الاجتماعية وربطها بواقع السكان هناك. وقد بلغ عدد الكنائس ٣٠ كنيسة، فتح بها الرهبان ١٧ مدرسة بها ٦٠ قسما يعمل بها ٣٤ قسيسا و٥٠ من الأخوات البيض، هذا بالإضافة إلى المؤسسات الخاصة بإرسالية الآباء البيض والتي كانت توفر التعليم بمنطقة (القبائل) لـ ١٠٤٤ طفل و١١١٤ بنت، يقوم على تعليمهم ٤٦ راهبا (١٦).

. التركيز على تنصير الأطفال الصغار وخاصة اليتامى والمشردين وأبناء الفقراء...حيث كانوا يغرونهم بكل الوسائل لاستجلابهم وتنشئتهم على مبادئ الديانة المسيحية، وقد نشط الآباء البيض في اصطياد هؤلاء الأطفال وجمعهم في ملاجئ أنشئت لهذا الغرض. وبعد تنصير هؤلاء الأطفال جعلت منهم (آباء بيضا) ليتولوا الدعوة إلى الديانة المسيحية بين ذويهم، وهذا تنفيذا لما صرح به أحد زعماء فرنسا (الجنرال بيجو) بقوله: "إن العرب لا يطيعون فرنسا إلا إذا أصبحوا فرنسيين، ولن يصبحوا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين " (١٧). لأنهم كانوا يرون أن التنصير يساعد على الفرنسة كما أن الفرنسة تسهل التنصير". ولهذا الغرض أقام المبشرون بعض المدارس لتنصير الأطفال الجزائريين، وإرسال بعضهم إلى مراكز دينية في مرسيليا (فرنسا) لتعلم بعض الحرف (١٨).

. كما كان القائد الفرنسي السابق (بيجو) يوصي القساوسة الفرنسيين حين يسلم لهم الأطفال اليتامى من الجزائريين بقوله: "اجتهدوا في تحويلهم إلى مسيحيين حتى لا يرفعوا سيوفهم في وجهنا مرة أخرى". وفي إحدى هجوماته المسلحة على القرى الجزائرية، انتزع ٢٥٠ طفلا من قرية بضواحي الجزائر العاصمة، بعد أن شتَت عائلاتهم وشرَدها، وقام بتقديم هؤلاء الأطفال إلى الأب" بريمو(Brumeaud) مخاطبا إياه: "إنهم يتامى لقطوا في ساحات الوغى، ربوهم واجعلوهم مسيحيين" (١٩).

. كما راح هؤلاء القساوسة، (بإخفاء صفتهم الكهنوتية) ينشرون بين المواطنين في "منطقة القبائل" أن الإسلام هو السبب في القضاء على العرق البربري.

. كانت البرامج التعليمية الاستعمارية تركز أساسا على تمجيد فرنسا وقوتها العسكرية وثرواتها، متجاهلة عن قصد، تاريخ الجزائر. كما ركزت السلطات الفرنسية في برامجها على تشويه تاريخ وجغرافية الجزائر وحرمان الأطفال الجزائريين من دراستهما، حيث كان الأطفال الجزائريون يتلقون في المدارس الفرنسية أن بلادهم كانت قديما تسمى " الغال " وأن أجدادهم يسمون " الغاليون " ((gaulois)٢٠). كما أن مقررات مادة التاريخ، كانت

تهتم بتدريس تاريخ فرنسا في جميع العصور، بينما تجاهلت تاريخ الجزائر وحتى الساعات المخصصة لدراسته كانت قليلة جدا وأكثر من ذلك مشوهة.

. كما خصصت السلطات الفرنسية في برامجها ساعات وحصصا قليلة لتدريس مادة الجغرافية، التي حاولت من خلالها غرس فكرة في أذهان الأطفال الجزائريين، مفادها أن الجزائر تعتبر جزاءا من فرنسا وأنها تمثل امتدادا طبيعيا لجنوب فرنسا. ولتمجيد هذه الفكرة كانت السلطات الفرنسية ترسل بعض أطفال الموظفين والعائلات الموالية لها إلى مقاطعات ومدن فرنسا في جولات سياحية ودراسية لغرس وجهة نظرهم في عقول بقية السكان.

خاتمة:

نستنتج من كل ما سبق، أن الاستعمار الفرنسي عند احتلاله للجزائر، لم يكن يستهدف إدماج الجزائريين، بل كان يمهد لتنصير المسلمين واعتناقهم الدين المسيحي واعتبر الأرض الجزائرية فرنسية، في حين اعتبر الإنسان الجزائري من جنس منحط، يجب إجلاؤه من أرضه والقضاء عليه وليس تسويته بالفرنسي، لأن المعمرين كانوا يخافون العربي المتعلم واعتبرته عنصرا خطيرا وعاملا لغير صالحهم.

والواقع أن المدافعين عن تعليم الجزائريين لم يكونوا يريدون تثقيف الجزائريين وخدمتهم بقدر ما كانوا يريدون خدمة أنفسهم حتى يبقى العالم العربي متخلفا ومشتتا ليسهل عليهم عملية إخضاعه واستعماره. وفي ظل هذه الظروف الصعبة والعداوة والحذر المتبادل بين الطرفين، الوطني والأوروبي، كان من الصعب قبول الطرف الوطني لمدرسة المستعمر التي كانت تسير في اتجاه لا يخدمه ولا يساعده على الارتقاء بل إن هذه المدرسة كانت تريد أن تجعل منه العبد الذلول، الفلاح المطيع لسيده المستعمر الذي لم يأت للجزائر إلا لفرض سيطرته ونهب خيراته وطمس هويته.

في الأخير، نستطيع القول أن الجزائر تخلصت من الاحتلال الفرنسي المسلح منذ عشرات السنين ودفعت في المقابل أكثر من مليون ونصف مليون من أبنائها، ولكنها لا زالت تواجه حربا أكثر شراسة لاسترجاع هويتها ومعتقداتها الدينية ومستقبلها، وهو ما يتطلب بذل مزيد من الجهد والبحث والدراسة لمواجهة هذه المعضلة التي باتت تعرقل نمو وتطور المجتمع الجزائري وإخراجه من التبعية بكل أنواعها وأشكالها.

الهوامش

(١) عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، ط ١، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص ٦٦.

(2)Rinn L . : note sur l'instruction publique musulmane en algérie, Alger, 1882, p.15 .

(٣) حسين رايس: بعض جذور الإشكالية الثقافية حاليا بالمغرب العربي، مجلة شؤون عربية، العدد ٣، ص ٣٢، السنة، البلد

(٤)Desvages H. : l'enseignement des musulmans en Algérie sous le rectorat jean-marie, janvier-mars, 1970, p .123.(

(٥) . آجرون : تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة : عيسى عصفور، منشورات عويدات، ١٩٨٢ ، بيروت، ص ١٠٨.

(٦)Elie G :la kabylie du Djurdjura et les pères blancs ,in correspondant, 1923,p .71.

(٧)Colonna f . les instituteurs Algériens de 1883-1939, p. 30

(٨).Turin Y :affrontements culturels dans l'Algérie coloniale ,Ecoles, Medecines, religion 1830-1880,F. Maspéro, Paris, 1971,p129

(٩)Documents algériens (série politiques) numéro 11, année 1947,p.2

(١٠)Desperez ch . : les ouvriers musulmans, 1863, p.6 .

(١١) سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١، ص ١٠٢.

(١٢)Corrieras J. : l'enseignement des indigènes en Algérie, in Q .D.C.,1907,p.591

(١٣) Poular M. : l'enseignement pour les indigènes en Algérie, Alger, 1910, p .184 .

(١٤)Jeanmaire : plans d'études et programmes ; 1898 ; p.7

(١٥) عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، المرجع السابق نفسه، ص ١٧٨.

(١٦) مقران يسلي: الحركة الدينية الإصلاحية، أطروحة جامعية، جامعة الجزائر، ١٩٨٣، ص . ص ٢٩٢ . ٣٠١.

(١٧) تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط ٢، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١،ص ص ٣١٤ . ٣١٥.

(١٨)Merad A. : regards sur l'enseignement des musulmans en algérie 1880-1960 , juin-juillet, 1963, p .303.

(١٩) حسين رايس: بعض جذور الإشكالية الثقافية حاليا بالمغرب العربي، المرجع السابق نفسه، ص٣٣.

(٢٠) تركي رابح: المرجع السابق نفسه، ص ١١٤.